

من قِطَابِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ سَعِيدٍ رَحِمَهُ اللهُ

حُبُّ الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ

مِنْ الْإِيمَانِ

« هَكَذَا ضَمُّعُوا الْأَوْطَانَ »

تَرْجُومَةُ د. طَيْفِ الْمَكْتُومِ

الَّذِي تَعَلَّمَ فِي الْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ فِي مَدْرَسَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ سَعِيدٍ

مَوْطُوعٌ مِنَ الْقُرْآنِ



من خطب فضيلة الشيخ محمد سعيد رمضان

حُبُّ الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ

مِنَ الْإِيمَانِ
« هَكَذَا ضَيَّعُوا الْأَوْطَانَ »

لفضيلة الشيخ الدكتور

أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سليمان

حفظ الله تعالى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،
وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ^(١).

(١) هذه الخطبة تُعرف بـ: «خطبة الحاجة»، ويُسن أن تفتح بها الخطب بأنواعها، وبين يدي كل حاجة، لِمَا ثبت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وغيره: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْلَمُهُمْ أَيَّهَا بَيْنَ يَدَي كُلِّ حَاجَةٍ». أخرجَه أحمد في مسنده (٣٩٢/١)، وأبو داود في سننه (رقم ٢١١٨)، والترمذي في جامعه (رقم ١١٠٥)، والنسائي في سننه (٨٩/٦)، وابن ماجه في سننه (رقم ١٨٩٢)، والطيالسي في مسنده (٣٣٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (رقم ١٠٤٤٩)، وابن الجارود في المتقى (رقم ٦٧٩)، والحاكم في المستدرک (٢/١٨٢، ١٨٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٤٦/٧) وغيرهم من طرق عن ابن مسعود قال: «عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةَ الْحَاجَةِ...» فذكرها. زاد الطيالسي، والبيهقي عن شعبة قال: قلت لأبي إسحاق: «هذه خطبة النكاح وفي غيرها؟ قال: في كل حاجة». قال الترمذي: «حديث حسن، رواه الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن النبي ﷺ».

ورواه شعبة عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ، وكلا الحديثين صحيح؛ لأن إسرائيل جمعها فقال: «عن أبي إسحاق، عن

أبي الأحوص وأبي عبيدة عن عبد الله مرفوعاً...».

وهذه الخطبة مروية عن ستة من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم: ابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وعائشة، ونبيط ابن شريط - رضي الله عنهم أجمعين - وعن الزهري - أيضاً - وهو تابعي جليل، خرَّج أحاديثهم كلّها الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في رسالة مستقلة بعنوان: «خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه».

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «هذه الخطبة تفتح بها جميع الخطب؛ سواء كانت خطبة نكاح أو خطبة جمعة أو غيرها، فليست خاصة بالنكاح كما قد يُظن، وفي بعض طرق حديث ابن مسعود التصريح بذلك - كما تقدم -، وقد أيد ذلك عمل السلف الصالح، فكانوا يفتتحون كتبهم بهذه الخطبة».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «مجموع الفتاوى» (١٨ / ٢٨٧) مؤيداً هذا القول: «إن حديث ابن مسعود لم يخص النكاح، وإنما هي خطبة لكل حاجة في مخاطبة العباد بعضهم بعضاً، والنكاح من جملة ذلك».

وقال السندي في «حاشيته» على «سنن النسائي» (٦ / ٨٩): «الظاهر عموم الحاجة للنكاح وغيره، ويؤيده بعض الروايات فينبغي أن يأتي الإنسان بهذا، يستعين به على قضائها وتمامها».

وقد ذهب أهل الظاهر وغيرهم إلى وجوب البدء بهذه الخطبة، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ (٩ / ٢٠٢): «هو شاذ».

أَمَّا بَعْدُ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذَاكِرًا الْأَوْطَانَ وَمَوَاقِعَهَا فِي الْقُلُوبِ: ﴿وَلَوْ
أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا
قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦].

فَسَوَّى بَيْنَ قَتْلِ أَنْفُسِهِمْ وَالْخُرُوجِ مِنْ دِيَارِهِمْ.
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا
مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦].

وَقَدْ نَسَبَ اللَّهُ تَعَالَى الدُّورَ وَالْأَوْطَانَ إِلَى أَهْلِهَا وَمُلَّاكِهَا،
فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [الحشر: ٨].
فَنَسَبَ الدِّيَارَ إِلَى مُلَّاكِهَا.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ
يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠].
فَنَسَبَ الدِّيَارَ إِلَى أَهْلِهَا.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى مَنْ
أَخْرَجَهُ مِنْ أَرْضِهِ وَوَطَنِهِ، قَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بَنَ رَبِيعَةَ،
وَعُتْبَةَ بَنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بَنَ خَلْفٍ، كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا»^(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل المدينة، ١١-باب كراهية النبي ﷺ
أن تُعرى المدينة (١٧٩٠) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ الْمَدِينَةَ وَعَكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَى يَقُولُ:
كُلُّ أَمْرٍ مُصَبِّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَذْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ
وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أَقْلَعَ عَنِ الْحُمَى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ يَقُولُ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْ خَرُّ وَجَلِيلُ
وَهَلْ أَرَدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُونُ لِي شَامَةً وَطَفِيلُ

وَقَالَ: اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بَنَ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بَنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بَنَ خَلْفٍ، كَمَا
أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الْوَبَاءِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ
إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَفِي مُدَّنَا، وَصَحْحَهَا
لَنَا، وَانْقُلْ حُمَاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ. قَالَتْ: وَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهِيَ أَوْبَاءُ أَرْضِ اللَّهِ،
قَالَتْ: فَكَانَ بَطْحَانٌ يَجْرِي نَجْلًا؛ تَغْنِي مَاءُ آجِنًا».

وفي رواية مسلم في صحيحه، كتاب الحج، ٨٦-باب الترغيب في سكني

وَاللَّعْنُ: الطَّرْدُ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْإِبْعَادُ.

وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ ﷺ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ الشَّدِيدِ عَلَى مَنْ أَخْرَجَهُ مِنْ أَرْضِهِ وَوَطَنِهِ.

وَفِي ذَلِكَ أَيْضًا: شَفَقَتُهُ ﷺ مِنْ إِخْرَاجِهِ مِنْ أَرْضِهِ وَوَطَنِهِ.

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَخْبَرَ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْوَحْيِ، وَعَلِمَ وَرَقَةُ أَنَّهُ النَّبِيُّ الْمُنْتَظَرُ، قَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ ﷺ: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟» قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي^(١).

المدينة والصبر على لأوائها (ح ١٣٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها قال: «قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهِيَ وَبَيْتُهُ، فَاشْتَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَاشْتَكَى بِلَالٌ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَكْوَى أَصْحَابِهِ قَالَ: اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَبْتَ مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدَّهَا، وَحَوِّلْ مُهَامَهَا إِلَى الْجُحْفَةِ».

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، ١ - باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (ح ٣). ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، ٧٣ - باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (ح ١٦٠). جميعاً من طرق عن ابن شهاب الزهري، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ... به.

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»، وَابْنُ مَاجَهَ، وَابْنُ حِبَّانَ،
وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ الْحَمْرَاءِ ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِمَكَّةَ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ
أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ اللَّهُ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا
خَرَجْتُ» ^(٢).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ، تُرْبَةُ
أَرْضِنَا، بِرِيقَةٍ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا» ^(٣).

(١) قال السندي: عبد الله بن عدي بن الحمراء، قرشي زهري، ويقال: ثقفني
حالف بني زهرة، له صحبة، يكنى أبا عمرة أو عمر، وكان ينزل قُدَيْدًا،
وهو من مسلمة الفتح، سكن المدينة، وحديثه في فضل مكة، قال البغوي:
لا أعلم غيره.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٣١/١٨٧١٥)، وابن ماجه في «السنن» (٣١٠٨)،
وابن حبان في «موارد الظمان» (١٠٢٥)، والحاكم في «المستدرک» (٧/٣)
جميعاً من طرق عن عبد الله بن عدي بن الحمراء ... به.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، ٣٧- باب رقية النبي ﷺ (ح)
٥٤١٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، ٢١- باب استحباب
==

فَبِاسْمِ اللَّهِ رَبِّنَا، بِرِيقَةٍ بَعْضُنَا، بِتُرْبَةِ أَرْضِنَا، يُشْفَى مَرِيضُنَا^(١).
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ
الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

فَمَعَ مَا لِلْأَنْصَارِ مِنْ عَظِيمِ الرُّتْبَةِ، وَجَلِيلِ الْمَنْزِلَةِ، قَدَّمَ اللَّهُ
الْمُهَاجِرِينَ وَفَضَّلَهُمْ، وَقَدْ وَقَعَ عَلَيْهِمْ مَا لَمْ يَقَعْ مِثْلُهُ عَلَى الْأَنْصَارِ،
وَهُوَ مُعَادَرَةُ الْوَطَنِ وَالْدِّيَارِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي بَيَانِ وَجْهِ تَفْضِيلِ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى

=

الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة (ح ٢١٩٤)، جميعاً من طرق عن

سفيان عن عبد ربه بن سعيد عن عمرة عن عائشة ... به.

(١) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى الحديث أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة،

ثم يضعها على التراب، فيعلق بها منه شيء، ثم يمسح به على الموضع الجريح
أو العليل، ويقول هذا الكلام في حال المسح».

وخصَّه بعضهم بريق النبي ﷺ وتربة المدينة، والأصح العموم، والشفاء من الله
سبحانه، يجعله فيما يشاء من الأسباب.

الأنصار: «وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُهَاجِرِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْهَجْرَةِ وَالنُّصْرَةِ»^(١).

وَقَالَ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٩].

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ: «لَمَّا كَانَتْ مُفَارَقَةُ الْإِنْسَانِ وَطَنَهُ، وَمَأْلَفَهُ، وَأَهْلَهُ، وَقَوْمَهُ مِنْ أَشَقِّ شَيْءٍ عَلَى النَّفْسِ لَأُمُورٍ كَثِيرَةٍ مَعْرُوفَةٍ، وَمِنْهَا انْفِرَادُهُ عَمَّنْ يَتَعَزَّزُ بِهِمْ وَيَتَكَيَّرُ، وَكَانَ مَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ عَوَضَهُ خَيْرًا مِنْهُ، وَاعْتَزَلَ إِبْرَاهِيمَ قَوْمَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّهِ: ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا﴾ مِنْ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾».

فَحَصَلَ لَهُ وَلَهُؤُلَاءِ الصَّالِحِينَ الْمُرْسَلِينَ إِلَى النَّاسِ، الَّذِينَ خَصَّهُمُ اللَّهُ بِوَحْيِهِ، وَاخْتَارَهُمْ لِرِسَالَتِهِ، وَاضْطَفَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ»^(٢).

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ١٥٢).

(٢) تفسير السعدي (٣/ ١٠٠٢)، طبعة دار ابن الجوزي.

فَعَوَّضَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا الْخَيْرَ الْعَمِيمَ عَنْ مُفَارَقَةِ قَوْمِهِ
وَاعْتَزَلَ إِلَهُ إِيَّاهُمْ بِكُفْرِهِمْ وَشُرْكِهِمْ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ ذِكْرُ وَفَادَةِ مَالِكِ بْنِ الْحَوِيثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ عَشْرِينَ
نَفَرًا كُلُّهُمْ شَبِيهٌ مُتَقَارِبُونَ، وَأَتَتْهُمْ أَقَامُوا عِنْدَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَشْرِينَ يَوْمًا، قَالَ:
«وَكَانَ النَّبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَءُوفًا رَحِيمًا، فَلَمَّا رَأَانَا قَدْ اشْتَقْنَا إِلَى أَهْلِنَا قَالَ:
ارْجِعُوا إِلَيَّ أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ»^(١).

فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اشْتِيَاقَهُمْ إِلَيَّ أَهْلِيهِمْ وَأَرْضِيهِمْ كَمَا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، ١٨ - باب الأذان للمسافر إذا
كانوا جماعة والإقامة، وكذلك بعرفة وجمع، وقول المؤذن: الصلاة في الرحال
في الليلة الباردة أو المطيرة (ح ٦٠٥). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب
المساجد ومواضع الصلاة، ٥٣ - باب من أحق بالإمامة؟ (ح ٦٧٤). جميعاً من
طرق عن مالك بن الحويرث قال: «أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَحْنُ شَبِيهٌ مُتَقَارِبُونَ،
فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا
قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا، أَوْ قَدْ اشْتَقْنَا، سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرْنَاهُ، قَالَ: ارْجِعُوا
إِلَيَّ أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ» ... إلى آخر الحديث.

قَالَ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَلَمَّا رَأَا قَدْ اشْتَقْنَا إِلَى أَهْلِنَا»، فَأَذِنَ لَهُمْ بِالْعُودَةِ إِلَى أَهْلِهِمْ.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ التَّغْرِيبَ عَنِ الْأَوْطَانِ عُقُوبَةً وَزَجْرًا فِي كَثِيرَةٍ مِنْ كِبَائِرِ الْإِثْمِ وَهِيَ «الزَّنا».

فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ»^(١).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَإِنَّ انْتِقَالَهُ عَنْ وَطَنِهِ مِمَّا يُضْعَفُ هِمَّتُهُ وَبَدَنُهُ، وَيُعْلَمُ أَنَّهُ مُعَاقَبٌ»^(٢).

وَالْتَقَوَى بِمَعْنَاهَا الصَّحِيحُ يَدْخُلُ فِيهَا أَنْ يَتَّقِيَ الْمُسْلِمُ رَبَّهُ فِي بَلَدِهِ.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، ٣- باب حد الزنا (ح ١٦٩٠)، وأحمد في مسند عبادة بن الصامت (٣١٣/٥)، وأبو داود (٤٤١٧) من حديث عبادة بن الصامت ... به.

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢١٣/١٥).

لَا يَخُونُهُ وَلَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِ عَدُوًّا.

وَلَا يَجُرُّهُ إِلَى الْفَوْضَى.

وَلَا يُهَيِّجُ الْأَحْقَادَ بَيْنَ أَهْلِهِ.

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ أَنَّ تَقْوَى اللَّهِ هِيَ الصَّلَاةُ، وَالصِّيَامُ وَنَحْوُهُمَا مِنَ الْعِبَادَاتِ فَقَطَّ.

إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تَدْخُلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِي عِبَادَةِ مَوْلَاكَ، لَا تُفَرِّطْ فِيهَا.

وَاتَّقِ اللَّهَ فِي إِخْوَانِكَ، لَا تُؤْذِ أَحَدًا مِنْهُمْ.

وَاتَّقِ اللَّهَ فِي بَلَدِكَ، لَا تَخُنْهُ وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْهِ عَدُوًّا.

وَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ، وَلَا تُهْمِلْ فِي صِحَّتِكَ، وَلَا تَتَخَلَّقَ بِسَوَى الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ»^(١).

اتَّقِ اللَّهَ فِي بَلَدِكَ؛ لَا تَخُنْهُ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْهِ عَدُوًّا، وَلَا تَدْفَعْهُ

(١) وصايا الآباء للأبناء للعلامة الشيخ محمد شاكر (ص ٢٠).

إلى الفوضى والشقاق.

إِنِّي لَأَعْجَبُ كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يَخُونَ الْخَائِنُونَ؟

أَيُّخُونُ إِنْسَانٌ بِلَادَهُ؟!

إِنْ خَانَ مَعْنَى أَنْ يَكُونَ فَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ؟!

وَقَدْ تَضَيَّقُ أَخْلَاقُ الرَّجُلِ فَيَظُنُّ أَنَّ بِلَادَهُ قَدْ ضَاقَ بِهِ، وَالْحَقُّ

كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ الْقَدِيمُ:

لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضَيَّقُ^(١)

وَحَالُ مَنْ فَارَقَ وَطَنَهُ هُوَ:

شَوْقٌ يَخْضُ دَمِي إِلَيْهِ كَأَنَّ كُلَّ دَمِي اشْتَهَاءٌ

جُوعٌ إِلَيْهِ كَجُوعِ دَمِ الْغَرِيقِ إِلَى الْهَوَاءِ

(١) هذا بيت من قصيدة لعمر بن الأهتم بن سمي السعدي المنقري، ومطلعها:

أَلَا طَرَقَتْ أَسْمَاءٌ وَهِيَ طَرُوقُ وَبَانَتْ عَلَيَّ أَنَّ الْخَيَالَ يَشُوقُ

بِحَاجَةٍ مَحْزُونٍ كَأَنَّ فَوَادَهُ جَنَاحٌ وَهِيَ عَظْمَاءُ فَهُوَ خَفُوقُ

شَوْقُ الْجَنِينِ إِذَا اشْرَأَبَّ مِنَ الظَّلَامِ إِلَى الْوِلَادَةِ
 إِنِّي لَأَعْجَبُ كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يَخُونَ الْخَائِنُونَ
 أَيُّخُونُ إِنْسَانٌ بِلَادَهُ؟!!!
 إِنَّ خَانَ مَعْنَى أَنْ يَكُونَ فَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ؟!!!
 الشَّمْسُ أَجْمَلُ فِي بِلَادِي مِنْ سِوَاهَا وَالظَّلَامُ
 حَتَّى الظَّلَامُ لَدَيْهِ أَجْمَلُ فَهُوَ يَحْتَضِنُ الْكِنَانَةَ
 وَاحْسَرَتَاهُ مَتَى أَنَامُ
 فَأَحْسُ أَنْ عَلَى الْوَسَادَةِ
 مِنْ لَيْلِكَ الصَّيْفِيِّ ظِلًّا فِيهِ عَطْرُكَ يَا كِنَانَةَ^(١)

(١) هذه المقطوعة من قصيدة بدر شاكر السَّيَّاب الشاعر العراقي المسماة: «غريب

عن الخليج»، والتي أولها:

«الريح تلهث بالهجرة كالجثام على الأصيل
 وعلى القلوع تظل تطوى أو تنشر للرحيل
 زحم الخليج بهن مكتدحون جوابو بحار

=

مَا دَامَ الْوَطَنُ إِسْلَامِيًّا فَإِنَّهُ يُحَبُّ، وَيُبْذَلُ الْجَهْدُ كُلُّهُ لِبَقَائِهِ
إِسْلَامِيًّا، وَاسْتِكْمَالِ مَا غَابَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ عَنْهُ،
وَيُحَافِظُ عَلَى أَمْنِهِ وَاسْتِقْرَارِهِ.

مَا دَامَ الْوَطَنُ إِسْلَامِيًّا فَيَحْرُمُ أَنْ يُدْفَعَ بِهِ إِلَى الْفَوَضَى فَتَضَيَّعَ
مِنْهُ مَكَاسِبُ الْإِسْلَامِ فِيهِ عَبْرَ الْقُرُونِ.

مَا دَامَ الْوَطَنُ إِسْلَامِيًّا فَيَجِبُ الدَّفَاعُ عَنْهُ، وَيَحْرُمُ الْإِضْرَارُ
بِهِ.

وَقَدْ عَرَفَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعَثِيمِينَ^(١) دَارَ الْإِسْلَامِ فِي

من كل حاف نصف عاري

وعلى الرمال، على الخليج

جلس الغريب، يصرح البصر المحير في الخليج

ويهد أعمدة الضياء بما يصعد من نشيج

أعلى من العباب يهدر رغوهُ و من الضجيج».

(١) الشيخ العلامة فقيه الزمان محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي

التميمي، أبو عبد الله، وُلِدَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَدِينَةِ عَنِيزَةِ، وَهِيَ إِحْدَى مَدَنِ الْقَصِيمِ

مَعْرِضٍ تَعْرِيفِهِ دَارَ الشُّرْكِ فَقَالَ: «بَلَدُ الشُّرْكِ هُوَ:

الَّذِي تُقَامُ فِيهِ شَعَائِرُ الْكُفْرِ وَلَا تُقَامُ فِيهِ شَعَائِرُ الْإِسْلَامِ؛
كَالْأَذَانِ، وَالصَّلَاةِ جَمَاعَةً، وَالْأَعْيَادِ، وَالْجُمُعَةِ، عَلَى وَجْهِ عَامٍّ شَامِلٍ،
وَإِنَّمَا قُلْنَا (عَلَى وَجْهِ عَامٍّ شَامِلٍ) لِيَخْرُجَ مَا تُقَامُ فِيهِ هَذِهِ الشَّعَائِرُ
-يَعْنِي: الْأَذَانِ، وَالصَّلَاةَ جَمَاعَةً، وَالْأَعْيَادَ، وَالْجُمُعَةَ- عَلَى وَجْهِ
مَحْصُورٍ؛ كِبَلَادِ الْكُفَّارِ الَّتِي فِيهَا أَقَلِّيَّاتٌ مُسْلِمَةٌ، فَإِنَّهَا لَا تَكُونُ
بِلَادَ إِسْلَامٍ بِمَا تُقِيمُهُ الْأَقَلِّيَّاتُ الْمُسْلِمَةُ فِيهَا مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ.

في يوم (٢٧ رمضان ١٣٤٧هـ).

كان الشيخ ذا همة عالية، قد رُزق ذكاءً وحرصاً على التحصيل العلمي في
مزاحمته بالركب للعلماء.

توفي الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يوم الأربعاء الموافق الخامس عشر من شوال (١٤٢٧هـ)
بعد معاناة وصراع مع المرض الشديد والألم المريع، حتى نزل وزنه إلى (٣٨ك)
وصارت درجة المناعة عنده صفراً، وكل مَنْ استمع إليه في رمضان هذا العام
-عام وفاته- في الحرم يعلم ذلك -رحمه الله تعالى-.

راجع في ذلك ترجمته: «الضيء في تراجم كبار العلماء» يسر الله إتمامه؛
لأبي محمد عبد الله بن محمد سعيد رسلان.

أَمَّا بِلَادُ الْإِسْلَامِ فَهِيَ الْبِلَادُ الَّتِي تُقَامُ فِيهَا هَذِهِ الشَّعَائِرُ عَلَى
وَجْهِ عَامٍّ شَامِلٍ^(١).

وَبِلَادُنَا إِسْلَامِيَّةٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ نَاصِرُ الدِّينِ الْأَلْبَانِيُّ^(٢) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْأَمْرُ مَا ذَكَرَهُ
ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي بَعْضِ فُصُولِ فُتَاوِيهِ: أَنَّ الْأَرْضَ لَيْسَتْ
بِالْجُدْرَانِ، وَإِنَّمَا هِيَ بِالسُّكَّانِ، فَإِذَا كَانَ الْغَالِبُ عَلَى سُكَّانِ الْبَلَدِ
وَنِظَامِهِمُ الْإِسْلَامُ، فَهِيَ دَارُ إِسْلَامٍ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ يَحْكُمُونَ بِنِظَامٍ

(١) انظر تعليقات الشيخ الوالد أبي عبد الله محمد سعيد رسلان على شرح الأصول
الثلاثة للشيخ العلامة ابن عثيمين باعتناء أبي محمد عبد الله بن محمد سعيد
رسلان - كان الله له -.

(٢) الشيخ الإمام العلامة شيخ المحدثين في العصر الحديث مُحَمَّدُ نَاصِرُ الدِّينِ
ابن نوح نجاتي بن آدم والمُلَقَّبُ بـ: (الألباني) نسبة إلى بلده (ألبانية)
والمكنى بـ: (أبي عبد الرحمن) أكبر أبنائه.

وُلِدَ عام (١٣٣٢هـ) الموافق عام (١٩١٤م) في مدينة أشقودرة عاصمة ألبانيا.
وَتُوفِيَ -رحمه الله تعالى- يوم السبت الثاني والعشرين من شهر جمادى
الآخرة (١٤٢٠هـ) عن عمر يناهز الثامنة والثمانين في مدينة عمان.

لَيْسَ إِسْلَامِيًّا صِرْفًا أَوْ مَحْضًا».

وَالَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ بِقَوْلِهِ: فِي بَعْضِ فُصُولِ فُتَاوِيهِ هُوَ مَا ذَكَرَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مِنْ قَوْلِهِ: «وَكُنْ الْأَرْضِ دَارَ كُفْرٍ أَوْ دَارَ إِيْمَانٍ أَوْ دَارَ الْفَاسِقِينَ لَيْسَ صِفَةً لَازِمَةً لَهَا، بَلْ هِيَ صِفَةٌ عَارِضَةٌ بِحَسَبِ سُكَّانِهَا».

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: «وَالْبِقَاعُ يَتَغَيَّرُ أَحْكَامُهَا بِتَغْيِيرِ أَحْوَالِ أَهْلِهَا، فَقَدْ تَكُونُ الْبُقْعَةُ دَارَ كُفْرٍ إِذَا كَانَ أَهْلُهَا كُفَّارًا، ثُمَّ تَصِيرُ دَارَ إِسْلَامٍ إِذَا أَسْلَمَ أَهْلُهَا كَمَا كَانَتْ مَكَّةُ - شَرَّفَهَا اللَّهُ - فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ دَارَ كُفْرٍ وَحَرْبٍ».

وَالشَّيْخُ يُرِيدُ لَا مُجَرَّدَ السُّكْنَى، وَلَكِنْ يَقْصِدُ الْغَلْبَةَ عَلَى الدَّارِ وَالِاسْتِحْوَاذَ عَلَيْهَا.

قَالَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ بِلَادَ الْإِسْلَامِ الْيَوْمَ لَيْسَتْ كَمَا كَانَتْ مِنْ قَبْلُ؛ وَلَكِنَّهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ هِيَ لَيْسَتْ بِبِلَادِ كُفْرٍ، بَلْ هِيَ بِبِلَادُ إِسْلَامٍ».

وَفِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ كَلَامٌ كَثِيرٌ، وَشُبُهَاتٌ وَحُجَجٌ دَاحِضَةٌ،
وَوَقَعَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْخَطَا تَرْتَّبَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الشُّرُورِ، وَسَبَبُ
ذَلِكَ: اخْتِلَافُهُمْ فِي تَحْدِيدِ الْمَنَاطِ الَّذِي تَتَحَوَّلُ بِهِ دَارُ الْإِسْلَامِ
إِلَى دَارِ كُفْرٍ، وَاخْتِلَافُهُمْ فِي تَكْفِيرِ مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
وَعَدِمَهُ، وَعَدَمُ فَهْمِ بَعْضِهِمْ كَلَامَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ،
وَتَنْزِيلُ كَلَامِهِمْ عَلَى غَيْرِ مَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ.

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، فَمَا دَامَتْ بِلَادُنَا إِسْلَامِيَّةً فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَسْعَى
لِاسْتِقْرَارِهَا، وَاكْتِمَالِ أَمْنِهَا، وَيَجِبُ حَيَاطَتُهَا بِالرَّعَايَةِ وَالْحِفَاطِ
وَالْبَذْلِ.

وَحُبُّ وَطَنِنَا - لِكَوْنِهِ إِسْلَامِيًّا - مِنَ الْإِيمَانِ.

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَحْيَانًا يَشْتَهَرُ
عَلَى أَلْسِنِ النَّاسِ أَحَادِيثُ لَيْسَ لَهَا إِسْنَادٌ، وَلَيْسَ لَهَا صِحَّةٌ
كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: «حُبُّ الْوَطَنِ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١)، هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، بَلْ

(١) موضوع: قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي السَّلْسَلَةِ الضَّعِيفَةِ

حُبُّ الدِّيَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ الْإِيمَانِ.

أَمَّا الْوَطَنُ فَقَدْ يَرْتَحِلُ الْإِنْسَانُ وَيُهَاجِرُ مِنْ بَلَدِ الْكُفْرِ إِلَى بَلَدِ
الْإِسْلَامِ، وَلَا يَكُونُ حُبُّهَا مِنَ الْإِيمَانِ، بَلْ دَارُ الْكُفْرِ مَبْغُوضَةٌ هِيَ

=

(٣٦/ ٥٥): «موضوع، كما قال الصَّغَانِي (ص ٧) وغيره.

ومعناه غير مستقيم؛ إذ إن حب الوطن كحب النفس والمال ونحوه، كل ذلك
غريزي في الإنسان لا يمدح بحبه ولا هو من لوازم الإيمان، ألا ترى أن
الناس كلهم مشتركون في هذا الحب لا فرق في ذلك بين مؤمنهم
وكافرهم؟».

قلت: وقد تكلم فيه كثير من أهل العلم:

قال الزركشي: لم أقف عليه.

وقال السيد معين الدين الصفوي: ليس بثابت.

وقيل: إنه من كلام السلف.

وقال السخاوي: لم أقف عليه.

وقال الملا القاري: موضوع.

وقال الحوت البيروني الشافعي: حديث موضوع.

وقال الغزي العامري: ليس بحديث.

وأهلها، وأمّا الدِّيارُ الإسلاميَّةُ فحُبُّها مِنَ الإِيَّانِ، سَوَاءٌ كَانَ وَطَنُكَ أَمْ لَا»^(١).

فَمِمَّا يَتَوَجَّبُ: «أَنْ يُدَافِعَ الْمُسْلِمُ عَنْ دَارِ الْإِسْلَامِ الْعَدُوَّ الَّذِي يُحَاوِلُ اغْتِصَابَهَا وَاحْتِلَالَهَا، وَأَنْ يُجَاهِدَ دُونَهَا بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ احْتِفَاطًا بِمَا لِأَهْلِهَا فِي وَطَنِهِمْ مِنْ إِقَامَةِ شَعَائِرِ دِينِهِمْ وَعِبَادَةِ رَبِّهِمْ، وَتَقْلُوبِهِمْ فِي أَمْلَاقِهِمْ، وَصَوْنِ حَرِيمَتِهِمْ، وَتَصَرُّفِهِمْ فِي مَعَاشِهِمْ، وَالْقِيَامِ عَلَى تَرْبِيَةِ أَوْلَادِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ عَلَى دِينِ رَبِّهِمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ».

وَكُلُّ ذَلِكَ يُحَاوِلُ الْعَدُوُّ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَوْلِيَّكَ، فَيَقْضِي عَلَى شَرَفِ دِينِهِمْ، وَيَمْنَعُ عِبَادَاتِهِمْ، وَيَنْهَبُ أَمْوَالَهُمْ وَمُقْتَنِيَاتِهِمْ، وَيَهْتِكُ حُرْمَتَهُمْ، وَيَمْحُو تَارِيخَ مَجْدِهِمْ، وَيُفْنِي لُغَتَهُمْ وَعُلُومَهُمْ فِي رِطَانَتِهِ وَعَوَائِدِهِ، فَكُلُّ ذَلِكَ وَأَكْثَرُ مِنْهُ مِمَّا يَنْوِيهِ الْعَدُوُّ الْعَاصِبُ لِلْوَطَنِ تِلْقَاءَ أَهْلِهِ.

(١) شرح رياض الصالحين للعلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٥ / ٣٣٠).

وَلِذَا وَجَبَ الْجِهَادُ دُونَهُ لَوَجَّهَ اللَّهُ وَفِي سَبِيلِهِ»^(١).

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْوَاجِبُ الْوَلَاءُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، بِمَعْنَى أَنْ يُوَالِيَ الْعَبْدُ فِي اللَّهِ، وَيُعَادِيَ فِي اللَّهِ، وَقَدْ يَكُونُ وَطَنُهُ لَيْسَ بِإِسْلَامِيٍّ فَكَيْفَ يُوَالِي وَطَنَهُ؟

أَمَّا إِنْ كَانَ وَطَنُهُ إِسْلَامِيًّا؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يُحِبَّ لَهُ الْخَيْرَ وَيَسْعَى إِلَيْهِ، لَكِنَّ الْوَلَاءَ لِلَّهِ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مُطِيعًا لِلَّهِ فَهُوَ وَلِيُّهُ، وَمَنْ كَانَ مُخَالِفًا لِلدِّينِ اللَّهُ فَهُوَ عَدُوُّهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ وَطَنِهِ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ وَعَمَّهُ أَوْ أَبَاهُ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ.

فَالْمُؤَالَاةُ فِي اللَّهِ وَالْمُعَادَاةُ فِي اللَّهِ.

أَمَّا الْوَطَنُ فَيُحِبُّ إِنْ كَانَ إِسْلَامِيًّا، وَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُشَجَّعَ عَلَى الْخَيْرِ فِي وَطَنِهِ، وَعَلَى بَقَائِهِ إِسْلَامِيًّا، وَأَنْ يَسْعَى لاسْتِقْرَارِ أَوْضَاعِهِ وَأَهْلِهِ، وَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ الْمُسْلِمِينَ»^(٢).

(١) «جوامع الآداب في أخلاق الأنجاء»؛ للعلامة جمال الدين القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ

(ص ١٣٢).

(٢) «مجموع الفتاوى والمقالات» (٩/ ٣١٧).

فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَأَنْ يَتَحَابُّوا
وَلَا يَتَعَادُوا، وَأَنْ يَتَنَاصَرُوا وَلَا يَتَخَاذَلُوا، وَأَنْ يَأْتَلَفُوا وَلَا يَخْتَلِفُوا
حَتَّى يَسْتَطِيعُوا إِقَامَةَ دِينِهِمْ، وَحِفْظَ أَعْرَاضِهِمْ وَدِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ.
وَلَا بُدَّ مِنْ نَفْيِ الْعَصِيَّةِ وَالْأَغْرَاضِ الْمَذْمُومَةِ مِنَ الْاسْتِعْلَاءِ
بِالْجِنْسِ أَوْ الْأَرْضِ أَوْ غَيْرِهَا؛ فَإِنَّ الْأَرْضَ لَا تُقَدَّسُ أَحَدًا، إِنَّمَا
يُقَدَّسُ الْإِنْسَانُ عَمَلُهُ^(١).

وَمِيزَانُ التَّفْضِيلِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ التَّقْوَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وَالتَّقْوَى أَمْرٌ لَا يَعْلَمُهُ
إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾
[النجم: ٣٢].

وَعَلَى الْمُتَنَسِّينَ لِلسَّلَفِ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِي جَمَاهِيرِ مِنَ الشَّبَابِ
يَصْدُرُونَ عَنْ رَأْيِهِمْ، وَيَثْقُونَ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُمْ.

(١) أخرج مالك في الموطأ في كتاب الوصية عن يحيى بن سعيد: أن أبا الدرداء
كتب إلى سلمان الفارسي أن هَلُمَّ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ سَلَامَانُ: «إِنْ
الْأَرْضُ لَا تُقَدَّسُ أَحَدًا، وَإِنَّمَا يُقَدَّسُ الْإِنْسَانُ عَمَلُهُ».

وَعَلَى هَؤُلَاءِ الْمُتَسِسِينَ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ وَيَأْخُذُوا بِالْوَحْيِ الْمَعْصُومِ
وَيَدْعُوا التَّحْلِيلَ السِّيَاسِيَّ الْفِكْرِيَّ الْمَوْهُومَ، فَلِهَذَا التَّحْلِيلِ
فُرْسَانُهُ أَوْ بَغَالُهُ أَوْ حَمِيرُهُ!، وَلَا يَنْفَعُ الْإِسْلَامَ وَلَا الْمُسْلِمِينَ
كَثَرَتُهُمْ، وَلَا يَضُرُّهُمْ قَلَّتُهُمْ، وَلَا وُجُودُهُمْ وَلَا عَدَمُهُمْ؛ لِأَنَّهُ مَنْ
خَرَجَ عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ لَهُ، تَعَثَّرَتْ خُطَاهُ.

وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ الْفِتْنَ تَغْمِي الْبَصَائِرَ وَتُغْشِي حُجُبَهَا عَلَى الْأَبْصَارِ،
وَالْفِتْنَةُ إِذَا أَقْبَلَتْ عَلِمَهَا كُلُّ عَالِمٍ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَلِمَهَا كُلُّ جَاهِلٍ.

وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ التَّنَازُعَ أَعْظَمُ أَسْبَابِ الْهَزِيمَةِ، وَهُوَ نَاشِئٌ عَنِ
التَّقْصِيرِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، لِذَلِكَ قَرَنَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ،
فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ
رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وَأَمَّا مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ فَإِنَّهُ مَنْصُورٌ، وَمُخَالَفُهُ مَخْذُولٌ، كَمَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠].
وَقَالَ ﷺ: «... وَجُعِلَ الذَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي».

أخرجه أحمد، وابن أبي شيبة وغيرهما، وهو حسن^(١).

وقال شيخ الإسلام: «والبدعة مَقْرُونَةٌ بِالْفُرْقَةِ، كَمَا أَنَّ السُّنَّةَ مَقْرُونَةٌ بِالْجَمَاعَةِ، فَيُقَالُ: أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، كَمَا يُقَالُ: أَهْلُ الْبِدْعَةِ وَالْفُرْقَةِ».

وَالنَّجَاةُ فِي يَمِّ الْاِخْتِلَافِ مِنَ الْهَلَاكِ: فِي الْاِعْتِصَامِ بِالسُّنَّةِ، فَهِيَ سَفِينَةُ نُوحٍ؛ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ.

قَالَ ﷺ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اِخْتِلَافًا كَثِيرًا؛

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد، باب ما قيل في الرماح، تعليقاً عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: «جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُحْمِي، وَجُعِلَ الدَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي».

قال الحافظ في الفتح (١١٥/٦): «وَلَهُ شَاهِدٌ مُرْسَلٌ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ مِنْ طَرِيقِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبَلَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ».

وقد تكلم الشيخ الألباني عليه بما لا مزيد عليه في الإرواء (١٠٩/٥/١٢٦٩)، وصححه في صحيح الجامع الصغير (٢٨٢٨).

وللحافظ ابن رجب رحمته الله شرح على هذا الحديث باسم: «الحكم الجديرة».

فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا،
وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ،
وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَالدَّارِمِيُّ^(١).

وَلَنَعْلَمَ جَمِيعًا أَنَّ الْبَغْيَ عَاقِبَتُهُ وَخِيْمَةٌ، وَأَنَّهُ أَسْرَعُ الذُّنُوبِ
عُقُوبَةً، فَبَغْيُ الْبَاغِي سِهَامٌ يَرْمِيهَا مِنْ نَفْسِهِ إِلَى نَفْسِهِ، وَلَوْ رَأَى
الْمَبْغِيُّ عَلَيْهِ ذَلِكَ لَسَرَّهُ بَغْيُ الْبَاغِي عَلَيْهِ، وَلَكِنْ لَضَعْفِ بَصِيرَتِهِ
لَا يَرَى إِلَّا صُورَةَ الْبَغْيِ دُونَ آخِرِهِ وَمَالِهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

(١) صحيح:

أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٢٨ / ١٧١٤٤ / ٣٧٢)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي «السُّنَنِ» (٤٦٠٧)،
وَالْتِّرْمِذِيُّ (٢٦٧٨) وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَابْنُ مَاجَهَ (٤٣)،
وَالدَّارِمِيُّ (١ / ٤٤)، وَالطُّحَاوِيُّ فِي «شَرْحِ مُشْكَلِ الْأَثَارِ» (١١٨٦)، وَالطَّبْرَانِيُّ
فِي «الْكَبِيرِ» (١٨ / ٦١٧)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (١ / ٩٥)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمَغْنِيِّ» فِي شَرْحِ
السُّنَنِ (١٠٢)، جَمِيعًا مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَاصِمٍ الضَّحَّاكِ بْنِ مَخْلَدٍ عَنْ ثَوْرٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ
مَعْدَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السَّلْمِيِّ، عَنْ الْعَرَبَاذِيِّ بْنِ سَارِيَةَ ... بِهِ.
وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ» (٤٣)، وَصَحَّحَ سُنَنِ
أَبِي دَاوُدَ (٤٦٠٧).

﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠]، فَإِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ ضَمِنَ لَهُ النَّصْرَ مَعَ أَنَّهُ قَدْ اسْتَوْفَى حَقَّهُ أَوَّلًا.

فَكَيْفَ بِمَنْ لَمْ يَسْتَوْفِ شَيْئًا مِنْ حَقِّهِ؟

بَلْ بُغِيَ عَلَيْهِ وَهُوَ صَابِرٌ؟!

وَمَا مِنَ الذُّنُوبِ ذَنْبٌ أَسْرَعَ عُقُوبَةً مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ، قَالَ ﷺ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ مَعَ مَا يَدْخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ؛ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ» عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»؛ وَهُوَ صَحِيحٌ^(١).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ» (ح ٢٩/٩٩)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٩٠٢)،

والتِّرْمِذِيُّ (٢٥١١) وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَابْنُ مَاجَهَ (٤٢١١)،

وَأَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٣٦/٥)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٣٥٦/٢ و ٤/١٦٢)،

جَمِيعًا مِنْ طَرِيقِ عِيْنَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ... بِهِ.

وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ» (٩١٨/٢).

وَقَدْ سَبَقَتْ سُنَّةُ اللَّهِ أَنَّهُ لَوْ بَغَى جَبَلٌ عَلَى جَبَلٍ جَعَلَ الْبَاغِيَّ مِنْهُمَا دَكًّا.

فَبَغَى الْبَاغِي سَهَامٌ يَرْمِيهَا مِنْ نَفْسِهِ إِلَى نَفْسِهِ.

فَإِذَا كَانَ الدَّفَاعُ عَنِ الْأَوْطَانِ مَشْرُوعًا وَمَشْرُوعِيَّتُهُ بِحَسَبِ نِيَّةِ الْمُدَافِعِ عَنْ وَطَنِهِ، وَإِذَا كَانَ حُبُّ الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ مِنَ الْإِيْمَانِ كَمَا مَرَّ، فَمَا أَعْظَمَ جَرِيْمَةَ مَنْ يَسْعَى لِيُخْرِقَ السَّفِينَةَ لِيُغْرِقَ أَهْلَهَا!! وَمَا أَشَدَّ جُرْمَ مَنْ يَسْعَى لِإِحْدَاثِ الْفَوْضَى وَإِطْلَاقِ الْغَرَائِزِ مِنْ قِيُودِهَا!

وَمَا أَكْبَرَ إِثْمَ مَنْ سَعَى لِإِضَاعَةِ مَكَاسِبِ الْإِسْلَامِ فِي بَلَدٍ يَنْعَمُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِهَذَا الدِّينِ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قُرْنًا!!

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ عُثَيْمِينَ فِي «الشَّرْحِ الْمُتَمِّعِ»: «مَنْ قَاتَلَ لَوْطَنِيَّةٍ أَوْ قَوْمِيَّةٍ أَوْ عَصَبِيَّةٍ فَلَيْسَ بِشَهِيدٍ إِنْ قُتِلَ، وَلَكِنْ مَنْ قَاتَلَ لِحِمَايَةِ وَطَنِهِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ وَطَنٌ إِسْلَامِيٌّ فَقَدْ قَاتَلَ لِحِمَايَةِ الدِّينِ، فَيَكُونُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...»

لَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً،
وَيُقَاتِلُ لِيَرَى مَكَانَهُ، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟

فَقَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

وَالْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي مُوسَى
الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً،
وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً - أَنْفَةً، وَغَيْرَةً، وَمُحَامَاةً عَنِ الْعَشِيرَةِ - وَيُقَاتِلُ رِيَاءً،
أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ
اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

فَالَّذِي قَاتَلَ حَمِيَّةً نَقُولُ لَهُ: لِمَاذَا تُقَاتِلُ حَمِيَّةً؟

هَلْ هُوَ حَدَبٌ عَلَى قَوْمِكَ، أَوْ رَغْبَةٌ فِي بَقَاءِ الْإِسْلَامِ فِي بِلَادِكَ؟

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، ١٥ - باب مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ
كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا (ح ٢٦٥٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة،
٤٢ - باب مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (ح ١٩٠٤)،
جميعاً من طريق شعبة، عن عمرو بن مرة قال: سمعت أبا وائل قال: حدثنا
أبو موسى الأشعري أن رجلاً أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال...».

إِنْ قَالَ بِالْأَوَّلِ فَلَيْسَ بِشَهِيدٍ، وَإِنْ قَالَ بِالثَّانِي فَهُوَ شَهِيدٌ.
وَهَذَا كُلُّهُ عَلَى سَبِيلِ الْإِطْلَاقِ لَا عَلَى التَّعْيِينِ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ.
الْوَطَنِيَّةُ مِنْ حَيْثُ هِيَ عَاطِفَةٌ تُعَبِّرُ عَنِ انْتِمَاءِ الْمَرْءِ لِبَلَدِهِ،
بِمَعْنَى أَنْ يَكُونَ انْتِمَاءُ الْمُسْلِمِ لِبَلَدِهِ وَوَطَنِهِ مِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ
التَّوْحِيدِ الظَّاهِرَةِ، وَشَرَائِعِ الدِّينِ الْمُعْلَنَةِ، وَمِنْ حَيْثُ هِيَ قِيَامُ
الْمُسْلِمِ بِحُقُوقِ وَطَنِهِ الْمَشْرُوعَةِ فِي الْإِسْلَامِ.

الْوَطَنِيَّةُ بِهَذَا الْمَعْنَى مَطْلَبٌ شَرْعِيٌّ.

حُبُّ الْوَطَنِ غَرِيزَةٌ مُتَأَصِّلَةٌ فِي النُّفُوسِ السَّوِيَّةِ.

أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»،
وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ»، وَالْمَقْدِسِيُّ فِي «الْمُخْتَارَةِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي حَقِّ مَكَّةَ عِنْدَ هِجْرَتِهِ
مِنْهَا: «مَا أَطْيَبَكَ مِنْ بَلَدَةٍ وَأَحَبَّكَ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ أَخْرَجُونِي
مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ»^(١).

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٩٢٦)، وَابْنُ حِبَّانَ (٣٧٠٩)، وَالْحَاكِمُ (١/٦٦١)،

وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ حُبَّ الْمَدِينَةِ لَمَّا انْتَقَلَ إِلَيْهَا، فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ»^(١).

وَكَمَا جَعَلَ اللَّهُ النَّفْيَ عَنِ الْوَطَنِ عُقُوبَةً لِجَرِيمَةِ الزَّنا مَعَ الْجَلْدِ لِلْبَكْرِ، جَعَلَهَا عُقُوبَةً لِمَنْ يُحَارِبُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَى فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

والبيهقي في «الشعب» (٤٠١٣)، والمقدسي في «المختارة» (٢٠٩/١٠، ٢١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٣٦).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل المدينة، ١١ - باب كراهية النبي ﷺ أن تعرَّى المدينة (١٧٩٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، ٨٦ - باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها (١٣٧٦)، جميعاً من طريق عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ.

وَمِنْ لَوَازِمِ الْحُبِّ الشَّرْعِيِّ لِلْأُوطَانِ الْمُسْلِمَةِ: أَنْ يُحَافِظَ عَلَى أَمْنِهَا وَاسْتِقْرَارِهَا، وَأَنْ تُجَنَّبَ الْأَسْبَابُ الْمُفْضِيَّةُ إِلَى الْفَوَضَى وَالْاضْطِرَابِ وَالْفَسَادِ، فَالْأَمْنُ فِي الْأُوطَانِ مِنْ أَعْظَمِ مَنَنِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ عَلَى الْإِنْسَانِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَمْنَ بِالْعِبَادَةِ وَذَلِكَ لِعَظِيمِ قِيَمَتِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ أَمْنًا وَاجْعَلْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وَقَرَنَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَمْنَ بِالرِّزْقِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا أَمْنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾
[البقرة: ١٢٦].

وَأَمَّا اللَّهُ عَلَىٰ أَهْلِ حَرَمِهِ الْأَمْنِ بِالْأَمْنِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُنْخِطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٢﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣-٤].

وَذَكَرَ تَعَالَى مِتُّهُ عَلَىٰ سَبَأٍ، فَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَىٰ ظَهْرَهُ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيًا وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ سَلَمَةَ بْنِ مَحْصَنِ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ

أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ؛
فَكَاتَمَتْ حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَائِيرِهَا»^(١).

نِعْمَةُ الْأَمَانِ مِنْ أَجْلِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَهِيَ كَكُلِّ النِّعَمِ
تَتَطَلَّبُ الشُّكْرَ عَلَيْهَا، فَالنِّعْمَةُ صَيِّدٌ وَالشُّكْرُ قَيْدٌ، وَشُكْرُهَا
بِالْإِعْتِرَافِ بِهَا بِالْقَلْبِ بَاطِنًا، وَالثَّنَاءِ عَلَى الْمُنْعِمِ بِهَا بِاللِّسَانِ
ظَاهِرًا، وَتَصْرِيفُهَا فِي مَرْضَاةِ الْمُنْعِمِ بِهَا وَالْمُسْدِيدِهَا.

وَمِنَ الْكُفْرِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ: الْعَبَثُ بِاسْتِقْرَارِ الْوَطَنِ
وَأَمْنِهِ.

وَمِنَ الْكُفْرِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ: الْمُغَامَرَةُ بِمُسْتَقْبَلِهِ، وَتَضْيِيعُ
مَاضِيهِ.

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٠٠)، والترمذي في «سننه» (٢٣٤٧)،
وابن ماجه (٤١٤١)، والحميدي في «مسنده» (٤٣٩)، جميعًا من طريق سلمة
ابن عبيد الله بن محسن الأنصاري، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ .. فذكره.
والحديث حسنه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٣١٨ / ٥)، وخرجه
عن أكثر من صحابي؛ فليراجع.

وَمِنَ الْكُفْرِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ: تَأْجِيجُ نِيرَانِ الْأَحْقَادِ بَيْنَ
أَبْنَائِهِ، وَتَقْوِيضُ دَعَائِمِ بَنَائِهِ.

وَمِنَ الْكُفْرِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ: اسْتِغْلَالُ مُعَانَةِ الْجَمَاهِيرِ
الْكَادِحَةِ الْمُرْهَقَةِ، الَّتِي أَرْهَقَهَا الْفَقْرُ وَطَحَنَهَا الْغَلَاءُ؛ اسْتِغْلَالُ
تِلْكَ الْجَمَاهِيرِ الْكَادِحَةِ الْمُرْهَقَةِ لِتَكُونَ وَقُودًا لِمَعْرَكَةٍ فَاشِلَةٍ
ظَالِمَةٍ، الْغَالِبُ وَالْمَغْلُوبُ فِيهَا خَاسِرَانِ، وَالْمُضَيِّعُ فِيهَا هُوَ
الْوَطَنُ بِدِينِهِ وَتَارِيخِهِ وَمَاضِيهِ وَحَاضِرِهِ وَمُسْتَقْبَلِهِ.

وَفِي الْجَزَائِرِ عِبْرَةٌ^(١).

وَفِي الْعِرَاقِ عِبْرَةٌ^(٢).

(١) راجع كتاب «مدارك النظر في السياسة» للشيخ عبد المالك الرضائي الجزائري،
فهو خير شاهد وأوضح برهان على ما حدث في الجزائر من طامات، وما
جرته الجماعات على الجزائر من ويلات.

(٢) العراق واضحة أحداثها، لا تحتاج إلى برهان ولا إلى شاهد عيان، فكلنا لِمَا
يحدث فيها من دمار وفساد شاهدون مشاهدون.

وَفِي غَزَّةَ عِبْرَةٌ^(١).

وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ.

وَأُعِيدُكَ بِاللَّهِ أَيْتُهَا الْجَمَاهِيرُ الْكَادِحَةُ: أَنْ تَكُونِي تَابِعَةً كُلِّ نَاعِقٍ، أَوْ تَكُونِي كَمَا وَصَفَ الشَّاعِرُ:

انْظُرِ الشَّعْبَ الْمُعْنَى كَيْفَ يُوحُونَ إِلَيْهِ
أَثَرُ الْبُهْتَانُ فِيهِ وَاَنْطَلَى الزُّورُ عَلَيْهِ
يَا لَهُ مِنْ بَبْغَاءٍ عَقْلُهُ فِي أُذُنَيْهِ^(٢)

أُعِيدُكَ بِاللَّهِ أَيْتُهَا الْجَمَاهِيرُ الْكَادِحَةُ: أَنْ تُضَيَّعِي بَاقِيَ الشَّرَابِ مِنْ أَجْلِ مَوْهُومِ الشَّرَابِ.

وَأُعِيدُكَ بِاللَّهِ أَيْتُهَا الْجَمَاهِيرُ الْكَادِحَةُ: أَنْ تَكُونِي لِصَاحِبِ غَرَضٍ وَسِيلَةً، وَأَنْ يَرْوَجَ لِأَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ عَلَيْكَ حِيلَةٌ.

(١) الأمر واضح جداً بعد وصول حماس إلى سدة الحكم وما جرت به على غزة من

مصائب يشيب لها الولدان، نسأل الله العافية

(٢) من شعر شوقي في «الشوقيات».

يَا جَمَاهِيرَ شَعْبِنَا الْمُسْلِمِ النَّبِيلِ: لَا تَسْتَفِزَّنَكُمْ الْخُطُوبُ،
وَتَمَسَّكُوا بِدِينِكُمْ وَتُوبُوا إِلَى رَبِّكُمْ عَلَامَ الْغُيُوبِ، وَسِتِيرِ الْعُيُوبِ،
وَعَفَّارِ الذُّنُوبِ.

وَاعْلَمْ أَيُّهَا الشَّعْبُ الْمُسْلِمُ النَّبِيلُ: أَنَّ إِسْلَامَكَ أَمَانَةٌ فِي
عُنُقِكَ، فَصُنِ الْمَوْجُودَ، وَحَصِّلِ الْمَفْقُودَ، وَلَا تَبْخُلْ بِمَجْهُودٍ،
وَاللَّهُ يُسَدِّدُكَ وَيُرْعَاكَ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	٥
ذكر الأوطان في كتاب الله تعالى ومواقعها في القلوب.....	٨
دعاء النبي ﷺ على مَنْ أخرجوه من أرضه ووطنه.....	٩
وجه تفضيل المهاجرين على الأنصار في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ	
الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ...﴾.....	١٢
كلام نفيس للعلامة السعدي في مفارقة الإنسان وطنه.....	١٣
جعل الله التغريب عن الأوطان عقوبة وزجرًا في كبيرة من	
الكبائر وهي الزنا.....	١٥

الموضوع	الصفحة
على كل مسلم أن يتقي الله في بلده، ومعه كلام نفيس للشيخ	
محمد شاكر	١٥-١٦
ذكر حال من فارق وطنه.....	١٧
ما دام الوطن إسلامياً فإنه يُحب ويبذل الجهد في بقائه	
إسلامياً	١٩
كلام نفيس للعلامة ابن عثيمين في تعريف دار	
الإسلام	١٩-٢٠
الأرض ليست بالجدران وإنما هي بالسكان، ومعه كلام	
نفيس للعلامة الألباني	٢١
كلام نفيس للعلامة ابن عثيمين حول حب الوطن؛ لكونه	
إسلامياً من الإيمان	٢٣
كلام نفيس للعلامة القاسمي حول هذه المسألة	٢٥-٢٦

الموضوع	الصفحة
كلام نفيس للعلامة ابن باز حول هذه المسألة أيضًا	٢٦
نصيحة هامة للمنتسبين للسلف بأن يتقوا الله في جماهير من	
الشباب يثقون بهم وبآرائهم	٢٧
النجاة في الاعتصام بالسنة	٢٩
البغي من أعظم الذنوب	٣٠
من قاتل لحماية وطنه الإسلامي من أجل أنه وطن إسلامي فقد	
قاتل لحماية الدين، ومعه كلام نفيس للعلامة ابن عثيمين	٣٢
حب الوطن غريزة متأصلة في النفوس السويّة والدليل	
على ذلك	٣٤
من لوازم الحب الشرعي للأوطان المسلمة المحافظة على أمنها	
واستقرارها	٣٦
قرن الله الأمن بالعبادة وذلك لعظيم قيمته	٣٦

الصفحة

الموضوع

نعمة الأمان من أجل نعم الله على الإنسان ومن الكفر بها	
العبث باستقرار الوطن وأمنه	٣٨
لنا في الجزائر والعراق وغزة عبرة	٣٩-٤٠
خاتمة: وفيها نصيحة لشعبنا النبيل بالألا تستفز الخطوب	
وأن يتمسك بدين علام الغيوب وغفار الذنوب	٤٠-٤١
فهرس	٤٣



العِلْمُ والعَمَلُ

تأليف
فضيلة الشيخ الدكتور
أبي عبد الله محمد بن سعيد بن سنان
حفظه الله تعالى



وَقَفَاتُ مَعَ

سَيِّدُ قُطَيْبٍ

لَفَضِيلَتِهِ الشَّيْخِ الذَّكْوَرِ

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ

حَفِظَ اللَّهُ تَعَالَى

قُرْآنَهُ وَعَمَلَهُ وَوَضَعَ صَوَابَهُ

أَبُو مُحَمَّدٍ السُّبْكِيُّ

